سادسًا: المرشد الأمين لتعليم البنات والبنين

سادسا : « المرشد الأمين للبنات والبنين »

كانت عجلة القيادة المصرية ، ابان القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، فى ايد أمينة ، قوامها علماء الأزهر ، وطلبة العلم فيه . فقد دأب المصريون على اللجوء الى ساحة الأزهر كلما المت بهم الخطوب ، حتى صار الأزهر رمز العزة المصرية والكرامة القومية . كما كانت قوة الروح الدينية ، والثقافة الاسلامية الحقة ، عند علماء الأزهر ، هى الأسس التى استندوا اليها فى زعامتهم للحركة الفكرية والسياسية فى البلاد آنذاك . ولعل أول عبء اضطلع به قادة الطليعة العرب فى فجر العصور الحديثة ، تركز فى القضاء على الركود الفكرى الذى ران على عقول مواطنيهم ، وحملهم على النظر فيما فيه صلاحهم واستعادة مجدهم .

ذلك أن تغلغل النفوذ التركى فى البلاد العربية ، ثم سيطرة الترك انفسهم على مقاليد الأمور فيها ، لم يؤد الى تصدع السياسة العربية فحسب ، وانما شمل التفكير العربى واصابه بالجمود . وازاء ذلك ظهرت طبقة من القادة المصريين ، الذين تربوا فى مهاد الأزهر ، وادركوا ضرورة تدعيم الوعى الجديد فى البلاد بنهضة علمية شاملة فى الفكر ، وفى الفنون ، وفى الآداب .

ومن ثم فانهم انتقلوا من ميدان القيادة الثورية الشعبية المسلحة ضد القوى المعتدية ، الى مجال القيادة الفكرية الطليعية . فانبتوا بذلك أن مهمة قادة الفكر والأدب والفن ، ليست الاعتكاف

فى الصوامع والابراج العاجية ، ولكنها قيادة العامة ، ضد الاقطاع والمماليك ، وضد الاستعمار الفرنسى . فضلا عن أنهم كانوا عماد مشروعات التعليم ، والتسليح ، والتصنيع ، والتثقيف ، وتغيير النظم التى تمت فى عصر محمد على . فكانوا بذلك الفئة التقدمية بين مثقفى ذلك الحين ، والتى وضعت الأساس — الفكرى والمادى فيما بعد — لأحلام « ابراهيم » الذى تجاوبوا معه والتفوا حوله . ويعتبر « رفاعه رافع الطهطاوى » ١٨٠١ — ١٨٧٣ النموذج التاريخى لهؤلاء . فهو فيلسوف الثورة الفكرية المصرية والعربية ؛ ومعلمها الأول ، الــذى اتفق المفكرون والاجتماعيون على تحديد بدايه الفكر المصرى الحديث به ، واعتباره عميد حركة الاحياء المصرية وواضع اسس البعث الفكرى ، فى الفترة التى تسميها بفجر النهضة الحديثة فى تاريخنا المعاصر . اذ يمثل « رفاعه » الاتجاه الاكثر تقدما ووعيا ، من بين عدد من التيارات الفكرية التى اثمرتها تلك المرحلة .

فقد كانت نظرته الى القضايا والأمور والمشاكل نظرة كلية شمولية . حيث تناول فى مؤلفاته المتعددة اسس الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية من زاوية جد مختلفة ، عمن سبقه من العلماء والمفكرين . فهو الذى دعا الى اعادة النظر فى كافة القيم التقليدية . وهو الذى علم المصريين ان علوم الدين لا تغنى عن علوم الدنيا ان هم ارادوا ان يلحقوا بركب الحضارة . وهو الذى بشر فى ارض مصر بالحرية والمساواة ، والاخاء ، اساسا للمجتمع

الانسانى . بمعنى انه مؤسس الديمقراطية الليبرالية . وهو الذى وضع الأساس القوى لتحرير المراة ، ولحقها فى العلم والعمل ، قبل قاسم أمين بخمسين عاما . ومن ثم فانه — بلا جدال — صاحب اول دعوة لتربية البنات ، ووجوب السماح للمراة بالعمل ، اذا اضطرتها الظروف الى ذلك . وهذا هو الموضوع الرئيسى الذى تناوله كتاب (المرشد الأمين للبنات والبنين) . وهو الكتاب الذى امتد تاثيره فى فكرنا ، وقيمنا ، وسلوكنا ، وفى نظم التربية والتعليم والأخلاق ، وفى الأسرة ، والعلاقات الاجتماعية والانسانية منذ صدور طبعته الأولى بمطبعة المدارس الملكية فى العشر الأواخر من شهر شوال سنة الف ومائتين وتسعة وثمانين هجرية ، حتى ايامنا هذه .

ولم يكن هذا الكتاب هو الوحيد الذى الفه « حضرة رفاعة بك رافع » ناظر قلم الترجمة واعضاء قومسيون ديوان المعارف .

فقد الف عددا كبيرا من الكتب ، بعضها مكتوب والآخر مخطوط : فى علم الكلام والفقه ، والنحو ، والحديث ، والبلاغة ، والأدب ، والتاريخ ، والجغرافية ، والاجتماع ، والسياسة . وكلها تعكس بوضوح آراء رجل مصرى تقدمى احب مصر ، فنبضت كتاباته بحبها ، وتلونت كلماته بالعطف على ابنائها . ومن هنا تنبع افضل صفاته الوطنية والديمقراطية الثورية . وان كلماته عن مصر مشحونة بتلك العاطفة التى اضاءت بنور بصيرته طريقا

جديدا لمصر عبر ظلمات ماضية كئيبة سجنت الاغلبية الكادحة فى اطار افكار ومظالم العصور الوسطى المتخلفة .

كما ترجم عددا آخر من المؤلفات فى شتى المعارف والعلوم الانسانية : فى الطب والفلك والتاريخ والسياسة والاجتماع والمعادن والهندسة والقانون والفنون الحربية . حرصا منه على نقل الحضارة الأوروبية الى البيئة العربية فى مصر . حتى تصبح دولة متقدمة ، عن طريق الأخذ بوسائل الحضارة الحديثه وأدواتها المعاصرة . ويبدو ذلك واضحا فى كتابه (تلخيص الابريز فى تلخيص باريز) الذى هو دعوة للارتقاء اكثر منه وصف رحلة . ومنهاج للفهوض اكثر منه تعريفا بامة بعيدة . وبشير بالبعث الجديد اكثر منه موسوعة لألوان من المعارف حرص على عرضها .. !! .

ومع ذلك فان مؤلف (المرشد الامين للبنات والبنين) يظل اهم ماأصدره رفاعة رافع الطهطاوى ، محدثا به ثورة كبرى فى المجتمع ، وفى النظرة الى المراة ، ومطالبته بما لم يجرؤ احد من قبل على المطالبة به او التفكير فيه او الدعوة اليه . اذ بعد صدور هذا الكتاب انفتح باب ظل مغلقا فى وجه المفكرين والاجتماعيين زمنا طويلا...

وبهذا الكتاب اصبح رفاعة رافع الطهطاوى اول داعية لتعليم المراة لا فى مصر وحدها بل فى الشرق كله . فقد ذكر (يعقوب ارتين) فى كتابه عن « التعليم العام فى مصر » ان لجنة تنظيم التعليم فى سنة ١٨٣٦ اقترحت العمل لتعليم البنات فى مصر ، وقد كان

رفاعة عضوا من أعضاء تلك اللجنة . غير أن هذا الاقتراح لم ينفذ لأن المجمع المصرى — عندئذ — لم يكن على استعداد لقبول هذه الفكرة .

ثم جدد رفاعة الدعوة مرة ثانية ، باصرار وحماس شديدين . وكان رد الفعل الباشر بعد صدور الكتاب بعام واحد ان انشأت (جشم آنت هانم) مدرسة لتعليم البنات . وبذلك افتتحت اول مدرسة لتعليم البنات فى مصر . ثم ما لبث الوعى الثقافى ان انتشر بين الراى العام . وتكون (اتحاد الشبيبة المصرية) الذى اخذ على عاتقه الدعوة الى فتح المدارس ، والتوسع فى التعليم الحر .

والطهطاوى ينطلق فى كتابه من منطلق سياسى واجتماعى . يذهب الى ان الحرية لا تتجزا . وانها ليست وقفا على الرجال وحدهم ، بل انها حق للجنسين معا .

لذا فان للمراة حقوقا كما أن للرجل حقوقا . مثال ذلك حقها فى العمل . وحقها فى الخروج من سجن التخلف والجمود والجهل . وحقها فى الاستفادة من التطور الذى اصاب المجتمعات المتقدمة . وفى استخدام احدث الأساليب العصرية الأوربية . وحقها فى التنقل والتنزه والاختلاط بشكل لا خوف فيه على أخلاقها . لأنه حريص فى كل ما كتب على القواعد الأخلاقية ، والقيم الانسانية ، وقواعد السلوك التى حثت الكتب السماوية عليها . وهذا يفسر لنا حرصه على ربط التطور بالدين والفكر الثورى بتعاليم الاسلام .

وتأكيده على أن تعليم البنات ليس الا لاصلاح حال الأسرة ، والحفاظ على ترابطها وجعلها اساسا صالحا للتقدم الاجتماعى ، ونموذجا مصغرا للعدل،والمساواة ، وممارسةالحرية والديمقراطية. يقول :

(ينبغى صرف الهمة فى تعليم البنات والصبيان معا ، لحسن معاشرة الأزواج فتتعلم البنات القراءة والكتابة والحساب ونحو ذلك ، فان هذا مما يزيدهن ادبا وعقلا ، ويجعلهن بالمعارف اعلا . ويصلحن به لمشاركة الرجال فى الكلام والراى ، فيعظمن فى قلوبهم ، ويعظم مقامهن ، لزوال ما فيهن من سخافة العقل والطيش ، مما ينتج من معاشرة المراة الجاهلة لمراة مثلها ، وليمكن للمراة عند اقتضاء الحال ان تتعاطى من الاشغال والاعمال ما يتعاطاه الرجل ، على قدر قوتها وطاقتها ، فكل ما يطيقه النساء من العمل يباشرنه بانفسهن ، وهذا مع شانه ان يشغل النساء عن البطاله ، فان فراغ أيديهن عن العمل يشغل السنتهن بالأباطيل وقلوبهن بالأهواء وافتعال الأقاويل ، فالعمل يصون المراة عما لا يليق ، ويقربها من الفضيلة واذا كانت البطالة مذمومة فى حق الرجال فهى مذمة عظيمة فى حق النساء ، فان المراة التى لا عمل لها تقضى الزمن خائضة فى حديث جيرانها ، وفيما يأكلون ويشربون ، ويلبسون ويفرشون وفيما عندهم وعندها وهكذا ...) .

وعلى هذا النحو تبدو دعوة رفاعة الطهطاوى لتحرير المراة واضحة وصريحة . فهو يريد أن تتعلم المراة وان تزيل عن نفسها

الكسل الذى يرسخ على قلبها وعقلها حتى تستقل شخصيتها ، وتلعب دورها فى الحياة . فقد اراد ان يحرر المراة لتشارك الرجل حياته وتساعده فى ظروفه . وهو يرى أن تحرر المراة او تسلمها قياد نفسها — على حد تعبيره — لا يؤدى بالضرورة الى الانحراف ، لأن المراة الفاضله لا يخشى عليها من الحرية واستقلال الارادة . اى ان الأمر عنده ليس رهينا بسلطان الرجل على المراة ؛ ولكن بقوة اخلاق المراة وحسن تنشئتها . وهو يؤكد هذا المعنى حين يتعرض لمسالة سفور المراة . اذ نراه يفصل فصلا تاما بين سفور المراة او اختلاطها بالرجل وبين تعرضها للانحراف . فاذا راعينا قوله ان جميع الناس فى مصر ، يتساءلون عن حالة المراة الأفرنجية ، عرفنا ان مشكلة تحرير المراة كانت تشغل الراى العام فى مصر ايام حكم محمد على ، وانه اهتدى لهذا الراى حتى يستنير الناس برايه فى هذا الأمر الخطير .

يقول : (وحيث ان كثيرا ما يقع السؤال من جميع الناس عن حالة النساء عند الافرنج كشفنا عن حالهن الغطاء وملخص ذلك ايضا ان وقوع اللخبطة بالنسبة لعفة النساء لا يأتى من كشفهن او سترهن بل منشا ذلك التربية الجيدة والخسيسة والتعود على محبة واحد دون غيره وعدم التشريك فى المحبة والالتئام بين الزوجين) .

انه يرجع اى فساد اخلاقى يصدر عن المراة الى نوع التربية ، والبيئة التى تنشا فيها المراة ، وعدم استقرار عواطفها ، وفقدان

الترابط بينها وبين زوجها . ولا علاقة لذلك كله بالسفور ، والتعليم، واعطائها حريتها كاملة كالرجل تماما . وعلى هذا فانه يقف من اختلاط النساء بالرجال موقفه من سفور المرأة . فلم ير فيه ما يشين الخلق أو يؤدى الى الفساد . فالاختلاط تمارسه الحرائر وغيرهن : (ونساء الفرنساوى بارعات الجمال واللطافة ، حسان المسايرة والملاطفة يتبرجن دائما بالزينة ويختلطن مع الرجال فى المتنزهات ، وربما حدث التعارف بينهن وبين بعض الرجال فى تلك المحال سواء الأحرار وغيرهن خصوصا يوم الاحد الذى هو عيد النصارى ، ويوم بطالتهم ؛ وليلة الاثنين فى البارات والمراقص) .

وهو يريد أن يقول أن المجتمع الأوربى الذى يعطى للمرأة هذه الحرية ويحترمها احتراما شديدا ، لا يرضى منها سلوكا معيبا او انحرافا شائنا شاذا . والفرنج أيضا — كما يذهب الى ذلك رفاعة — يستهجنون انحراف المرأة كما يستهجنه الشرقيون . وانما الفرق يتمثل فى اختلاف النظرة والحكم الأخلاقى .

فبينما يرتقى الزنا فى الشرق الى مرتبة (الذنوب الأوائل) نجده فى الغرب من (العيوب الرذائل) والفرق واضح بين الخطيئة والخطأ . الخطيئة فيها التحريم دينى ، والخطأ فيه التحريم اخلاقى ولجتماعى .

معنى هذا أن الصورة التى رسمها رفاعة الطهطاوى للمرأة الغربية خالية من التحامل ، متسمة بالموضوعية والعطف ، فهو لا يتردد فى الاعلان عن اعجابه بما رآه من تقاليد صالحة . ولكنه

فى الوقت نفسه ، لا يتردد فى اعلان استهجانه لما رآه من تقاليد نابية . وقد يفسر لنا هذا كيف انه لم يشأ ان تكون المرأة المصرية صورة طبق الأصل فى سفورها ، مما دعاه احيانا الى المناداة بالحفاظ على الحجاب اذا رات انه ضمان لها .

وقد جاء ذلك من تصديه لتحليل مقومات الحضارة الأوربية وخاصة فى وجهها السياسى الاجتماعى ، وتبنيه لفلسفة سياسية واجتماعية ثورية ، وتبشيره بهذه الفلسفة . ذلك أن الفترة التى قضاها فى فرنسا ، كانت هى الفترة الحاسمة فى تشكيل تلك المساهمة الوضاءة التى قدمها ؛ اذ تمكن هناك من الاطلاع على عدد من أهم المنجزات التى حققها العقل الأوربى فى ميدان الفكر السياسى والاجتماعى الحديث . وقد كان دائم المقارنة بين الأوضاع فى فرنسا ومثيلتها فى مصر ، مما دفعه بصفة مستمرة الى أن يدعو ابناء بلاده الى ضرورة تخطى الهوة الحضارية التى تفصلها عن اوربا ، فانه لم ينظر الى اوربا كخطر سياسى ، وانما ظهرت له اساسا كمصدر للاشعاع الحضارى التقدمى .

ولقد كانت الحرية التى تتمتع بها المرأة الفرنسية ، ثم وضعها المتاز فى المجتمع الفرنسى بالنسبة الى ما ألفه فى تقاليد بلاده هى اول المظاهر التى استوقفت نظره عندما وطئت قدماه أرض فرنسا لاول مرة عام ١٨٢٦ ، فلم يتوان بعد عودته مباشرة عن المطالبة بحقوق مماثلة ونظرة مماثلة ، ووضعية مماثلة لابنة وطنه .

فقد كانت رغبته شديدة وأصيلة فى تلقين المصريين ضرورة تغيير نظرتهم للمرأة ومعاملتها بما تستحقه من الاعتبار بدلا من اعتبارها مجرد « متاع للبيت » . ذلك أن وضع المرأة فى الشرق لم يكن الا النقيض البغيض لما رآه فى أوربا وفرنسا بالتحديد .

ويلاحظ الدارس لهذا الكتاب أن رفاعه كان يتناول موضوعاته بحرية لا نظفر بها اليوم فيما نؤلفه من كتب لتلاميذ مدارسنا وتلميذاتها . بل يعد الحديث عنها محرما . وهو الى جانب الفكرة الأساسية التى يدور حولها ، فانه حريص على أن يقدم لقارئه معارف تربوية ، ومعلومات سياسية ، ومبادىء أخلاقية ، وشئون اجتماعية ، ومسائل دينية ، ومواقف وطنية ، ووقائع تاريخية . فالهدف التعليمى واضح . والغاية ترمى الى خلق الوطنى الصالح . من أجل ذلك كان الحرص على تعريف هذا المواطن بحقوقه وواجباته فردا ، وفجماعة صغيرة هى أسرته وجماعة كبرى هى وطنه وأمته .

والاطلاع على أبواب الكتاب السبعة ، وفصوله المتعددة والكثيرة ، يؤكد ذلك بكل بوضوح . فقد رتب رفاعه كتابه على مقدمة ، وأبواب ، مشتملة على فصول ثم خاتمة . تنفى فصل من فصول المقدمة عرف التربية . وبين أثرها . ثم ذكر فى فصول تالية ما ينبغى أن يؤخذ به الأطفال منذ صغرهم من تربية خلقية ودينية . وبعدئذ انتقل الى تاريخ العرب لينقل الينا ما كان نساء

وفى الباب الأول تحدث عن الانسان ، ونسبته الى غيره العرب يربين عليه أولادهن .
من المخلوقات .

أما الباب الثانى فانه تناول الصفات التى يشترك فيها الذكور والاناث ، والتى يختص بها أحدهما ، واهتم بضرورة التركيز على العقل والعناية به وتثقيفه . وشغل الباب الثالث بحديثه عن التعليم وأنواعه ، ليحيط البنات والبنين خبرا بدرجات التعليم فى وطنهم . وشوقهم فى فصوله المتتابعة الى الدراسة والاطلاع على ألوان المعرفة والفنون المختلفة ، لمصلحتهم ولمنفعة بلادهم ، وكانت الفرصة مناسبة للحديث عن الوطن الذى يعد الجيل لنفسه لخدمته .

وفى الباب الرابع تعرض للتمدن واسبابه ومظاهره وادواته . ثم وقف فى الباب الخامس عند الزواج وما يتعلق به . مما جعله يخصص الباب السادس لأسباب عمارة البيوت والمنازل ، وما يترتب على حسن تربية النشأ من الفضائل . الباب السابع وفيه أربعة فصول مهمة ناقش فيه عموم القرابة وحقوق بعضهم على بعض وبينما تتعلق خاتمة الكتاب بحفظ الصحة التى هى للانسان اعظم منحة .

والكتاب يقع فى ثلاثمائة وخمسة وتسعين صفحة من القطع الكبير ، يكثر فيه الاستطراد والاستشهاد بالشعر والحكم والأقوال المأثورة عن السلف ، والأحاديث النبوية والآيات القرآنية . واسلوب الكاتب فيه مزيج من الترسل والسجع وان كان ميله الى السجع أوضح .

وتطول رحلة كتاب (المرشد الأمين للبنات والبنين) على

المستوى الفكرى وعلى المستوى التنفيذى العملى التطبيقى . وهى رحلة ممتدة وممتدة . وستظل كذلك حتى تعلن المراة العربية عموما انها قد حققت بالفعل كل ما تريده وتتمناه ، من اجل خدمة مجتمعها واسهامها الحقيقى والفعال فى شتى الميادين . فالكتاب لم يكن كتابا للمطالعة فى المدارس — كما كان الغرض من تاليفه — ولكنه موسوعة للآداب والسلوك والحقوق والواجبات فى مجتمع متكامل تسوده الحرية والمساواة . ويستوى فيه الناس من الجنسين فى الحق والواجب .

ومهما يكن من شىء فان هذا الكتاب قد اثر فى نشر الآراء الجديدة والفكر الثورية التى تدعو الى حرية المراة وسفورها وضرورة اشتغالها ان اتيحت لها الفرصة وان كان للمجتمع بهذا العمل حاجة . وهو ما يتكشف لنا جليا فيما كتبه احمد فارس الشدياق فى كتابه (الساق على الساق) ١٨٥٢ ، و (كشف المخبأ عن فنون أوربا) ١٨٥٤ . وما كتبه على مبارك فى الجزء الثانى من كتابه (طريق الهجاء والتمرين على القراءة فى اللغة العربية) ١٨٧١ . وهو تلميذ واع لرفاعة الطهطاوى . كما نجد تاثيره فى الامام محمد عبده الذى أعلن (ان النساء قد ضرب بينهن وبين العلم بما يجب عليهن فى دينهن أو دنياهن بستار لا ندرى متى يرفع) . ومعروف ان الأستاذ الامام محمد عبده كان يناصر قاسم امين فيما اذاعه ضمن فصول كتابيه (المراة الجديدة) ؛ (وتحرير المراة) .

ولا ننسى أن ممن تأثروا بأفكار هذا الكتاب : يعقوب صنوع ، وسعد زغلول ، وطه حسين ، ومصطفى عبد الرازق ، وأحمد أمين ومحمد حسين هيكل ، وطلعت حرب ، ولى الدين يكن ، ومصطفى فهمى ، وفرح انطون . ومن النسوة اللائى شاركن فى الدفاع عن قضية تحرير المرأة ، وكن متأثرات بأفكارهن « المرشد الأمين للبنات والبنين » عائشة التيمورية ، الآنسة مى ، نبوية مصطفى ، لبيبة هاشم . الأميرة فاطمة اسماعيل التى تبرعت بالكثير من مالها الخاص ومازال اسمها منقوشا على باب كلية الآداب جامعة القاهرة. الأميرة عين الحياة . وملك حفنى ناصف ، التى تعتبر آراؤها استكمالا لدور رفاعة رافع الطهطاوى ودعوته . وكانت أول خطيبة مصرية فى نادى حزب الأمة وأسست الاتحاد النسائى التهذيبى . وهى التى نادت فى ١٩١١ باصدار تشريع يكفل للمرأة حقوقها الاجتماعية والتعليمية

أما « قاسم أمين » فى (تحرير المرأة ١٨٩٨) وفى (المرأة الجديدة) ١٩٠٠ فانه ينفرد وحده بكونه قد اتخذ من الدفاع عن حقوق المرأة مبدأ برزت فيه جهوده التى استحوذت عليها هذه القضية . ولا شك انه فى كل ما كتب كان متأثرا بالمرشد الأمين للبنات والبنين . اذ ان قضيته لم تخرج عن كونها المحور الذى دارت حوله آراء رفاعة الطهطاوى وأفكاره ودعواته .

وهل يستطيع أحد انكار تأثر أحمد لطفى السيد بالمرشد الأمين ؟ . انه كان من أنصار تحرير المرأة وخطورة آرائه تكمن

فى انها لا تعبر عن راى شخصى وانما تعبر عن آراء المدرسة الليبرالية فى التفكير . وقد آمن بدعوة قاسم امين ، وفتح ابواب صحيفة « الجريدة » ، لكل الآراء المتحمسة لقضية المراة والمناصرة لها . وهو الذى كتب فى (الجريدة) بتاريخ ٤ ابريل ١٩٠٨ يقول عن تعليم المراة انه (طريق الى رقى الأسرة ، الرقى الاجتماعى المنشود ومن ثم استقلال البلاد) .

والأستاذ سلامة موسى يتخذ من الدفاع عن قضية المراة احد المحاور الرئيسية التى دافع عنها منذ وقت مبكر فى « مقدمة السوبرمان » ١٩١٠ . وبتاثير هذا الكتاب بدات تظهر مجلات متخصصة فى الأمور المتعلقة بالمراة ، وفى المسائل الخاصة بمكانتها فى المجتمع المصرى . من ذلك مثلا ان « لبيبة هاشم » اصدرت فى سنة ١٩٠٦ مجلة (فتاة الشرق) ، كما اصدرت ملكة سعد فى ١٩٠٨ (الجنس اللطيف) ، وبلسم عبد الملك فى ١٩٢٠ (المراة المصرية) ، ولبيبه احمد اصدرت فى ١٩٢١ (النهضة النسائية) ، ثم مجلة (الأمل) الاسبوعية ١٩٢٥ لمنيرة ثابت ثم « الحسان » لفريدة فوزى ١٩٢٥ ، و (آداب الفتاة) لفيكتوريا مجلى ١٩٢٦ الشهرية التى كانت تصدر فى الفيوم . و (الفتاة) ١٩٣٧ الأسبوعية لنبوية موسى و (بنت النيل) ١٩٤٥ لدرية شفيق و (فتاة الغد) ١٩٤٥ لفاطمة نعمت راشد وغيرها وغيرها .

معنى هذا ان مجلات كثيرة اسهمت فى الدفاع عن الخط الذى رسمه رفاعة رافع الطهطاوى فى (المرشد الأمين للبنات والبنين) ،

فلم تخرج مجلة من تلك المجلات عن القضية التى آلت على نفسها الدفـاع عنها وتأييدها ، وهى قضـية المرأة ووضـعها ومطالبها وثقافتها ودورها .

هذا على المستوى النظرى والفكرى البحت .

أما على المستوى التنفيذى العملى فان ثورة ١٩١٩ قد شهدت اشتراك المرأة الفعلى معبرة عن مشاركتها الايجابية النشيطة فى ثورة البلاد من أجل الحرية والاسـتقلال ، والاعتراض على نفى زعماء الثورة يوم الأحد ١٦ من مارس ١٩١٩ . وعندما وفدت لجنة (ملنر) الى القاهرة فى ٧ من ديسمبر ١٩١٩ .

ونحن نزعم أن هذا النشـاط لم يكن الا اشـعاعا من اشـعاعات فكر رفاعة .

ومعروف انه قد تزعمت النشاط النسائى اثناء الثورة وبعدها كل من : هدى شـعراوى ، وسيزا نبراوى ، وانه تم تكوين لجنة الوفد المركزى للسيدات بعد الثورة برئاسة هدى شعراوى . ثم فى ١٩٤٢ تكون الحزب النسائى برئاسـة فاطمة نعمت راشد . وفى ١٩٤٨ تكونت لجنة الشابات برئاسـة سيزا نبراوى . وتدخل المرأة مجلس الأمة ١٩٥٧ وتصبح عضـــوا فى الوزارة ١٩٦٢ بعد أن اعترف لها دستور ١٩٥٦ بالحقوق السياسية .

وفى اطار التعليم الذى اهتم به رفاعة ، تمت سنة ١٩٢٥

خطوة كبرى ادت الى تقدم حقيقى بالنسبة لتعلم المراة . حيث توحد نظام الدراسة الابتدائية والثانوية للفتيان والفتيات . مما مهد لدخول الفتيات الجامعة . حيث تخرجت منها أول دفعة ١٩٢٣ . عندما كان أحمد لطفى السيد مديرا للجامعة وطه حسين عميدا لكلية الآداب . وهما ممن تتلمذوا على رفاعة رافع الطهطاوى ، وممن تبنوا أفكاره الديموقراطية الليبرالية .

وهكذا كانت امتدادات المرشـــد الأمين للبنات والبنين ! فكـل ما حققته المـراة فى شـــتى المجـالات التعليمية والتربوية والاجتماعيـة والسياسـية كـان ثمـرة من ثمـــار هـذا الكتاب الذى وقفت ضده كل القوى الرجعية آنذاك . فقد امتدت رحلة هذا الكتاب وطالت ، وتركت آثارها فى كل خطوة خطتها المراة العربية نحو التطور ، والتقدم ، والحرية ، والمساواة .

هذا الشيخ الأزهرى المعمم ؛ الذى سافر الى فرنسا على رأس أول بعثة عسكرية ، لهدف دينى اخلاقى خاص ؛ استطاع أن يحول دفة الفكر الاجتماعى والتعليمى فى البيئة العربية فى مصر . واهتدى الى ما ينبغى ان يترسمه الانسان العربى الحديث من أجل ان يكون متحضرا ، مواكبا لركب العلم والمدنية والتقدم . وكانت الديموقراطية منطلقه فى النظر الى كثير من أمور الحيـاة المصرية ، وحتى الدعوة الى سفور المراة ، وعملها ، وتعلمها . لم تكن وحيدة الجانب ؛ وانما كانت جزءا من بنائه الفكرى بشكل عام ، ومن نظريته الكلية . فالحرية تستلزم أن تكون للمراة شخصية مستقلة . وأن تحصل على كل حقوقها إنسانة فعالة مثمرة متطورة .

وما نقرؤه مما تكتبه المرأة الآن ، ليس نتاج كتابات قاسم أمين ؛ وانما هو اشعاع من اشعاعات تلك الثورة التى اشعلها كتاب (المرشد الأمين لتعليم البنات والبنين) . فالكتاب مرشد أمين . حريص على ان يلعب هذا الدور بأمانة تضع فى اعتبارها الأوحد مستقبل الأمة ؛ وغد البلاد . كما ان هذه الأمانة تستلزم ان يكون التوجه الى البنات والبنين فى آن معا . حقيقة ان الكتاب صدر البنات قبل البنين فى هدفه . وذلك لأن تعليم البنين كان مقررا على نحو أو آخر . أما البنات فان الكتاب قد خصهن بالأولوية فى الاهتمام .

وقليلات هن اللائى يعرفن هذا الكتاب . اذ أن معظمهن يقفن عند حدود قاسم أمين . والخشية أن يكن حريصات على ترديد اسمه هو الآخر ، دون الاطلاع على كتابيه ! ان آلاف الحاصلات على درجة الدكتوراه فى الجامعات المصرية والعربية ؛ وكذا آلاف الحاصلات على درجة الماجستير فى شتى الوان العلم والمعرفة والأدب والفكر والثقافة والفن ؛ فضلا عن عشرات الآلاف من الحاصلات على الدرجة الجامعية الأولى فى الجامعات العربية ؛ لسن الا محصلة واقعية عملية ، لما طالب به هذا الكتاب . وكذلك المشتغلات فى كل حقل وميدان ، وفى مختلف البلدان العربية .

لم يكن الكتاب يطمح فى كل هذا الذى وصلت اليه المرأة العربية : اديبة وفنانة ووزيرة واستاذة بالجامعة وعالمة ومبتكرة ،

ومؤثرة فى الحياة العامة ، وفى الحيـــاة الثقافية والتعليمية . بل أصبحت الكاتبة العربية تناقش وتؤلف وتبحث فى الجنس ! وفى العلاقة الخاصة بين الرجل والمراة ! وترفض القيد الذى قد يكبلها الرجل به . وهل كان تعودها فى بيتها لا تبرحه الى علم او الى عمل الا لونا من الوان القيود التى وقف ضدها كتاب (المرشـــد الأمين لتعليم البنات والبنين) ؟! .

هـــذا الكتاب الصـــغير حجما ــ اذا قيس بالمؤلفات العربية التراثية ــ كانت امتداداته اكثر خطورة وتأثيرا ، واعمق اشعاعا .